دور العلماء في ازدهار الحياة الفكرية في المراكز الحضارية لبلاد الزاب خلال العصر الوسيط

The role of scientists in the flourishing intellectual life in cultural centres of Zab During the middle ages

مزردي فاتح[1]، الطيب بوسعد[2]

[1]جامعة البليدة 2(الجزائر) ،ef.mezerdi@univ-blida2.dz

[2]جامعة البليدة 2(الجزائر) ،boussaadtayeb@gmail.com

مخبر البحث : التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية . المدرسة العليا للأساتذة. بوزريعة

تاريخ الاستلام: 2019/12/04 تاريخ القبول: 2021/10/24 تاريخ النشر: 2022/06/11

الملخص:

تملك بلاد الزاب مراكز حضارية زاخرة بالعلم والعلماء، وقد خضعت لمؤثرات فكرية محلية بحكم خصوصية البيئة وأخرى مشرقية وأندلسية ساهمت في تشكيل جزء أصيل من العالم الإسلامي قدم اسهامات علمية وثقافية كبيرة ، وأصبحت بذلك مركز استقطاب تضاهي بذلك حواضر المغرب الأدنى والأقصى والأندلس.

كلمات مفتاحية: الزاب، الحركة الفكرية، المغرب الأوسط، المراكز الحضارية، العلماء.

Abstract:

The Zab countries have cultural centers full of science and scientists, and have been subjected to local intellectual influences due to the specificity of the environment and other bright and Andalusian contributed to the formation of an authentic part of the Islamic world that made great scientific and cultural contributions, thus becoming a center of attraction comparable to the cities of the lower and far Maghreb And Andalusia.

Key words : Zab, Intellectual Movement, Middle Maghreb , Cultural centers, Scientists

المؤلف المرسل: مزردي فاتح ، **الإيميل:** p.mezerdifateh@gmail.com

مقدمة :

يعتبر تاريخ بلاد الزاب من المواضيع المهمة في تاريخ المغرب الإسلامي الذي لم يحظ باهتمام المؤرخين ولا بدراسات علمية أكاديمية كثيرة باستثناء بعض المقالات والمداخلات للدكتور موسى لقبال والدكتور عبد الحميد حاجيات والدكتور علاوة عمارة ومذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير للطالبة صورية مديازة، والذين حاولوا تسليط الضوء على التطور التاريخي والجغرافي لبلاد الزيبان منذ الفتح الإسلامي للمنطقة.

لذا فهناك إشكالية كبيرة تتمثل في تحديد الإطار الجغرافي لبلاد الزاب وتطور المنطقة تاريخيا، كما أن هناك إشكالية مهمة أخرى تمثلت في مدى مساهمة المراكز الحضارية لبلاد الزاب في ازدهار الحياة الفكرية في بلاد المغرب الإسلامي بضفة عامة وبلاد الأوسط بصفة خاصة.

1/ الإطار التاريخي والجغرافي لبلاد الزاب :

1.1/ المدلول اللغوي لمصطلح الزاب :

من الناحية اللغوية تتدرج مجموعة من التعاريف عن علماء واهل اللغة منها ما ورد عن اللغوي "ابن منظور" لما قال أن "زاب" من زأب ويزأب وازدأب القِرْبَة أي حملها وأقبل بها مسرعا، أما الإزدآب هو كل ما حُمِل قدر الإحتمال، ويقال أيضا زأب الرجل أي شرب شربا سريعا (ابن منظور، د. ت، ص. ص. 443-444).

والزبية هي المنطقة والرابية التي لا يعلوها الماء، وهي أيضا الحفرة التي يختبئ فيها الرجل للصيد، كما تحفر للذئب لاصطياده، أما الزابيان فهما نهران بسافلة الفرات، ويقال أيضا زبى الإبل أي ساقها (ابن منظور، د. ت، ص. ص. 353-354).

وإذا جمعنا كل هذه المعاني التي أخذت معاني الماء والسرعة والعلو فإنه يمكن نستنتج بأن الزاب هو المكان المرتفع الذي يسيل منه الماء بسرعة وقد يكون ربوة.

1.2/ المدلول والإطار الجغرافي لبلاد الزاب :

الشائع عند عامة الناس أن مصطلح الزاب هو منطقة بسكرة وضواحيها، إلا أن الكثير من المؤرخين قد أعطوا معاني مختلفة للزاب منها ما هو متعلق بالموقع والبعد الجغرافي ومنها ما هو مرتبط بالتسمية.

يشير "ياقوت الحموي" أن لفظ الزاب يطلق على كورة عظيمة بأرض المغرب بين تلمسان وسجلماسة، ويقول في نفس الصدد أنه سمع "الأصم المنورقي" يقول أن الزاب الكبير منه بسكرة وتوزر وقسنطينة وطولقة وقفصة ونفزاوة ونفطة وبادس (ياقوت الحموي، 1977، ص. 124).

ويذكر علاوة عمارة في دراسة حديثة أن واحدة من المدن الكبرى بالزاب كانت تسمى "زابي جوستينيانا" *Zabi Justiniana* وتقع قرب المسيلة (علاوة عمارة، 2015، ص. 248) ، أي أن "زابي" كانت مدينة رومانية في إقليم الحضنة وكانت مقر أسقفية في القرن الخامس ميلادي سميت بعد الفتح الإسلامي المحمدية أو المسيلة (أحمد الشنتناوي وآخرون ، د. ت، ص. 31).

ويذكر كتاب "الإستبصار" أن بلاد الزاب على طرف الصحراء في سمت بلاد الجريد وهي مدن كثيرة وعمائر متصلة فيها المياه السائحة والعيون الكثيرة (مؤلف مجهول، 1985، ص. 171)، أما "الحميري" في الروض المعطار يذكر أن الزاب من عمل إفريقية مدنها المسيلة ونقاوس وطبنة وبسكرة وتهودة وغيرها (الحميري، 1984، ص. 271).

أما ابن حوقل فيبين أهم المراكز العمرانية بالزاب عندما يذكر الطرق التجارية التي تربط بينها فيقول أن من المسيلة إلى إفريقية طريق يأخذ من المسيلة إلى مقرة، ومنها إلى طبنة، ومن طبنة إلى بسكرة مرحلتان، ومن بسكرة إلى تهودة مرحلة، ومنها إلى بادس مرحلة، ومن بادس إلى تاموديت مرحلة، ومنها إلى مدالة وقسطيلية وقفصة (ابن حوقل، 1992، ص. 87).

أما "ابن خلدون" الذي أطال المقام في بسكرة فقد ذكر بأن بلاد الزاب وطن كبير يضمن قرى متعددة متجاورة جمعا جمعا يعرف كل منها بالزاب، أولها زاب الدوسن ثم زاب طولقة ثم مليلة وزاب بسكرة وزاب تهودا وزاب بادس، وبسكرة أهم هذه القرى كلها وقاعدة وطن الزاب لهذا العهد ؛ أي القرن الثامن هجري (ابن خلدون، 2000، ص. 585).

ويميز "ابن عذاري المراكشي" بين زابين هما الزاب الأعلى والزاب الأسفل (ابن عذاري المراكشي، 1983، ص. 5)، أبي أن الزاب الأعلى يشمل منطقة الحظنة ومدنها المسيلة

ومقرة وطبنة، أما الزاب الأسفل فيشمل كل الأراضي المشغولة بواحات النخيل من الدوسن إلى بادس مرورا ببسكرة (علاوة عمارة، 2015، ص. 2249).

إذن نستنتج أن بلاد الزاب قد تغير مدلولها الجغرافي حسب التطور التاريخي للمنطقة، فقد عوض في بداية الفتح الإسلامي الاسم القديم لإقليم نوميديا الذي كان يمثل جل مقاطعة قسنطينة بما فيها جنوب الأوراس والحضنة ، وبعد القرن الخامس هجري أصبح يدل على المنطقة الممتدة من الحضنة إلى بادس، إلا أنه في العصور المتأخرة بعد القرن الثامن هجري أصبح الزاب يشمل الزاب الأسفل فقط والذي يضم الزاب الغربي والزاب الشرقي.

3/ أهم المراكز الحضارية ببلاد الزاب :

3-1/ المسيلة :

هي الأرض التي تزاحمت عبرها مختلف الحضارات، فليست بالمحمدية وليدة الفاطميين أو القلعة للحماديين، بل عرش من أعراش مملكة مسينيسا، فمقاطعة رومانية وبيزنطية فأرض خصبة للفاتحين.

عُرفت المدينة بعدة أسماء أهمها "زابي جوستيانا" حسب "إيتيكوس" وباسم "مويك" حسب "ليون ريني"، وقد عَرفت منطقة الحضنة دخول الاسلام خلال النصف الثاني من القرن السابع ميلادي ولعبت دورا كبيرا في إرساء الحضارة العربية الاسلامية، وبمجيء الفاطميين تأسست "المحمدية" المسيلة حاليا سنة 315هـ (927-926) كي تكون عاصمة اقليمية لإخماد الثورات التي عاشها المغرب الأوسط (بيرم كمال، 2016، ص. 136).

3-2/ طبنة :

عرفت المدينة في العصور القديمة باسم "توبوني" *Thubunae*، ومثلت المدينة في تلك الفترة منشأة عسكرية يعود بناؤها لمطلع القرن الثاني ميلادي، وقد ورد اسمها لأول مرة في النصوص القديمة عند "بلينونس الأكبر" Pline L'ancien في كتابه *Histoire Naturelle* تحت إسم *Tuben Oppidum* ؛ وكلمة "أوبيديم" في الرومانية تعني المواقع العمرانية أو المدن المحصنة، وقد بقيت المدينة محافظة على اسمها حتى الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، فبقيت طبنة محافظة على التقارب الألسني والصوتي من التسمية اللاتينية (مزهودي مسعود، 2009، ص. ص. 97-98).

ويذكر "البكري" أن طبنة مدينة كبيرة وسورها من بناء "منصور بن أبي الغرانيق"، وهي مما افتتح "موسى بن نصير" فبلغ سبيها عشرين ألف وهرب ملكهم كسيلة (البكري، د. ت، ص. 50)، ويكتب عنها الإدريسي بأنها مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين والزرع والقطن والحنطة والشعير وعليها سور تراب وأهلها أخلاط وبها صنائع وتجارات وأموال متصرفة في دروب التجارات (الإدريسي، 2002، ص. 263).

ونلاحظ أن مدينة طبنة قد مثلت مظهرا مهما من مظاهر التواصل الطوبونيمي عبر المراحل التاريخية، حيث استمرت أهميتها الحضارية من القرن الثاني ميلادي إلى عهد الولاة أين أصبحت من أهم حواضر بلاد الزاب.

3-3/ مقرة :

عرفت المدينة في وثيقة الديغنيتاتوم باسم ماكراس *Macras*، وهي ضمن إقليم مقاطعة موريطانيا السطايفية، يضعها مسار أنطونين *Itinéraire d'Antonin* على مسافة 25 ميل من موقع سيلاص (الخربة الزرقة حاليا) و 25 ميل من مدينة زابي، أنشئت على واد مقرة بالقرب من جبل مقرة وعلى سهل بومقر، وذكرت كذلك على أنها قرية محصنة أو ما يعرف بأوبيدا *Opidda* وتشير نفس الوثيقة إلى وجود تسمية أخري وهي ماكريانا *Macriana* بمقاطعة موريطانيا السطايفية، جاء ذكرها في نص النقيشة الميلية التي عثرت على بعد 18 كلم من ستيفيس(سطيف حاليا) على طريق سيرتا (سعاد سليماني وحنان خربوش، 2019، ص. 11).

ويذكر البكري بأنها مدينة صغيرة بها مزارع وحبوب واهلها يزرعون الكتان وعندهم الكثير، وهي مدينة عظيمة فيها منبر وعليها سور وفيها حصون كثيرة (الحميري، 1984، ص. 556).

4-3/ بسكرة :

ظلت التسمية الحقيقية لبسكرة محل خلاف بين المؤرخين والباحثين وحتى الرحالة العرب والأوربيين لتضارب المصادر التي تتطرق إلى هذه المسألة التاريخية، فمنهم من يرى أن اسمها ينحدر من كلمة فيسيرا أو فيسكيرا وهي تسمية رومانية تعني المحطة أو المقر

التجاري وذلك لموقعها الإستراتيجي الذي أهّلها كي تكون منطقة عبور ومن أهم المحطات الأساسية لخط الليمس الذي شيّده الرومان بعد احتلالهم لبلاد المغرب.

كما يرى آخرون أن أصل كلمة بسكرة مشتق من سكّرة ، وقد أطلق عليها هذا الإسم لحلاوة تمورها التي اشتهرت بها وعذوبة مياهها التي تجري خلالها، بينما يعتقد آخرون أن التسمية الحقيقية لها هي (أدبيسينام) وهي كلمة رومانية تعني المنبع، نسبة إلى حمّام الصالحين المعدني (جهينة بوخليفي قويدر، 2017، ص. 186).

وقد أشار إليها " الورتلانى " بقوله : << .. وهذه البلدة أعني بسكرة كثيرة المياه كل باب عنده ساقية من الماء تجرى من ماء حلو كالعسل ونخلها عظيم وغلتها كثيرة أي زرعها وكذا الفواكه وأشجار الزيتون وإنه كثير جدا ..>> (محمد الحسين الورتلاني، 1908، ص. 87، 94).

ويصفها " البكري " فيقول : << .. مدينة كبيرة كثيرة النخل و الزيتون وأصناف الثمار وهي مدينة مسورة عليها خندق وبها جامع ومساجد كثيرة وحمامات وحولها بساتين كثيرة وهي في غابة كبيرة مقدار ستة أميال فيها أجناس التمور.. >> (البكري، د. ت، ص. 52).

ويؤكد الرحّالة والمؤرخ الفرنسي (جزيل ستيفان) : " أن موقع المدينة الرومانية القديمة بفيسيرا أو بسكرة كان في الضفة اليسرى لوادي بسكرة المعروف حاليا بوادي سيدي زرزور" وهذا بعد انظمامها إلى حكم الإمبراطور أغسطس على يد قائده "كورنيليوس" فيما بين (19 – 20 ق .م) وبعد اعتناق الرومان للمسيحية شيّدوا بها أسقفية تابعة للكنيسة، وكانت بسكرة في العهد الروماني تعرف بها (محمد الصغير غانم، د. ت، ص. 23).

وبعد الفتح الشامل والتمكين ببلاد المغرب واندماج السكان الأمازيغ بالعرب المسلمين خاصة في عهد "حسّان بن النعمان" دخلت بسكرة تحت حكم الولاة التابعين مباشرة للدولة الأموية ومن بعدها الدولة العباسية، وبعد استقلال الأغالبة بتونس عن العبّاسيين عام (184 هـ–800م) أصبحت بسكرة وما جاورها من قرى الزاب مقاطعة تابعة للدولة الأغلبية " حيث كان يحكم بسكرة أنذاك الأغلب بن سالم الذي كان يطلق على واحاتها اسم رأس إفريقيا ".

وبعد أن قضى الفاطميون على الدولة الرستمية بالجزائر عام (296هـ/909م) وعلى الدولة الأغلبية بتونس عام (297هـ–909م) دخلت بسكرة تحت حكمهم خلال الفترة الممتدة

من (296هـ إلى 362هـ)، بعدها تمكنت عائلة "بني رمان" من التحكم في زمام أمورها (اسماعيل العربي، 1983، ص. 148).

وفي عهد الدولة الحمّادية بالجزائر (1007 م–1152 م) ثار "جعفر بن رمان" على بلقين بن محمد الحمّادي عام (450هـ–1058م) فسيّر الأمير الحمّادي إليه جيشا تحت قيادة وزيره "خلف بن أبي حيدرة" فدخل بسكرة عنوة، وألقى القبض على زعماء وشيوخ بني رمان واحتملوا إلى قلعة بني حماد بالقرب من المسيلة فقتلهم جميعا".

وفي العهد الثاني للحماديين نزحت قبائل بني هلال وبني سليم إلى بسكرة، إلا أن عائلة بني سندي تمكنت من صدّهم وأعطت ولاءها للحماديين الذين حوّلوا عاصمة ملكهم إلى بجاية الساحلية خوفا من هجمات الهلاليين (ابن خلدون، 2000، ص. ص. 229–230).

وبعد ذلك برز الموحّدون في القرن 12 م الذين تمكنوا من القضاء على الصنهاجيين ووحدوا بلاد المغرب قاطبة تحت رايهم وقد دخلت بسكرة تحت حكمهم حتى سقطت دولتهم نهائيا سنة 667هـ/1269م فانقسمت بلاد المغرب وأصبحت بسكرة إلى تحت حكم الحفصيين تارة وإلى الزيانيين أو المرينيين تارة أخرى (اسماعيل العربي، 1983، ص. 149)، إلا إنها تمنكت من الانفصال عن دولة الحفصيين بتونس عام 1511 م واستطاعت بعد ذلك أن تحافظ على استقلالها، حتى استولى عليها حسن آغا التركي عام 1541م . وجعل فيها حامية تركية وهذا في ظل الوجود العثماني بالجزائر(1516م –1830م) (مصمودي نصر الدين، 2010، ص. 11).

5-3/ طولقة :

تعتبر طولقة مدينة بربرية قديمة يرجع تاريخ تأسيسها إلى القرن السابع قبل الميلاد وقد بنيت من طرف النوميديين على مجرى مائي ساخن وكانت تسمى " تيولاشة " عند الرومان (Stiphen Gsell,1957, p. 19)، وكانت لهذه المدينة علاقة حسنة مع المملكة القرطاجية، وفي سنة 202 ق.م هزم الرومانيون القرطاجيين لكن دون المساس بالهيئات الداخلية لهذه القصور البربرية حتى مجيء " الملك تاوصوص " حوالي 146 ق.م والذي عرفت فترة حكمه عدة ثورات ضد التواجد الروماني بما فيها هذه القصور.

وتم إدخال المسيحية إلى طولقة وتجسد ذلك في بناء كنيسة لاتزال أثارها موجودة إلى حد الآن، كما تعاقب عليها الوندال من سنة 477م إلى عام 479م والبيزنطيون الذين تركوا أثارهم في المنطقة وتمثل ذلك في الحصن البيزنطي و بقايا حمام روماني مصنوع من الحجارة وبه قنوات لتصريف المياه والمواقد (Marc Cote, 2006, p. 33).

وفي القرن السابع ميلادي تم بناء مسجد على يد عقبة بن نافع بعد إسلام حاكمها "طالق بن يلوق" – المسجد العتيق حاليا – ومكث فيها عقبة ثلاث جمعات وجعل فيها قاضيا، ويقول عنها " الورتلاني " : << ... إن هذه المدينة من أعجب المدن وأجمعها لمنافع كثيرة مع توفر أسباب العمران فيها فقد جمعت بين التل والصحراء وذات نخيل كثيرة وزرع كثيف وزيتون ناعم وكتان جيد وماء جار في نواحيها وأرجاء متعددة تطحن بالماء ومزارع الحناء ... إلى غير ذلك من الفواكه والبقول وكثرة اللحوم والسمن في أسواقها...>> (محمد الواقدي ، 1966، ص. 155-156)، وقد تم ذكرها من طرف الرحالة العرب، فيقول عنها "البكري ": <<...هي ثلاث مدن عليها أسوار من طوب وخنادق وحولها أنهار وهي كثيرة البساتين والأعناب والنخيل والشجر وجميع الثمار إحدى هذه القصور يسكنها المولدون والثانية اليمن والثالثة قيس...>> (البكري، د. ت، ص. 52).

6-3/ تهودة :

أخذت تهودة دورا تاريخيا مهما منذ الحقبة الرومانية نظرا لدورها الفعال في حماية الحدود الجنوبية للإمبراطورية بفضل موقعها السَوقي، وكونها تتدرج ضمن سلسلة من المدن المحصنة المكونة لنظام الليمس، وذكرت المدينة في العديد من المصادر القديمة حيث ذكرها "بلين " تحت اسم" تبوديوم أوبيدوم" *Tabudium oppidum* كما ذكرت باسم" ثابوديوس" *Thabudeos* (حاجي رابح ياسين، 2014، ص. 38)، وتحتوي تهودة على مخلفات حمامات رومانية ونصب تذكارية وأجزاء من بعض النقوش اللاتينية والمباني، وقلعة تابيدوس التي تقع جنوب قصر تهودة الحالي بالقرب من المسجد وتتميز بأضلاع 118م على 100م ويوجد بها بئر بعمق46م (Jean Baradaz, 1949, p. 282) .

وقد وصفها " البكري" بأنها من أعظم مدن المغرب في عهد الفتوحات الإسلامية حيث قال : << ... هي أعظم مدائن المغرب وتعرف بمدينة السحر وهي مدينة آهلة كثيرة الثمار والنخيل والزروع وهي مدينة أولية بنيانها بالحجر ولها أموال كثيرة ولها ربض قدر خندق

على جميعه واستدار بالمدينة وبها جامع جليل ومساجد كثيرة وأسواق وفنادق ونهر ينصب في جوفها من جبل الأوراس سكانها من العرب وقريش ... >> (البكري، د. ت، ص. 72).

أما سيدي عقبة المدينة الحالية ؛ فقد نشأت بالقرب من قبر عقبة بن نافع الفهري من قبل قبائل البدو الرحل وذلك للمكانة الدينية التي يحتلها الضريح رغم افتقار الموقع للمصادر المائية، وتم التخلي عن تهودة رغم عراقتها التاريخية وتوفرها على المياه، هذه النشأة تتناقض مع الكثير من المدن في الزاب التي أقيمت على مدن قديمة رومانية أو بيزنطية (بسكرة، طولقة، ليشانة، بادس...)، إذن ظهور النواة الأولى لسيدي عقبة هو ذا أهمية دينية (ضريح عقبة بن نافع) بدل الأهمية المائية والدفاعية التي تحتاجها المدن الإسلامية (عز الدين بلكحل وآخرون ، 2003، ص. 114).

4/ دور علماء بلاد الزاب في ازدهار الحركة الفكرية:

4.1/ علماء المسيلة :

– الأديب "عبد الرحمن النهشلي المسيلي" (ت. 405هـ) هو أبو محمد عبد الكريم بن ابراهيم الجزائري التميمي أصله من المحمدية "المسيلة" وتوفي في المهدية، تشبع بالثقافة الأدبية وبالعلوم اللغوية المختلفة فنبغ في الإنشاء ونظم الشعر حتى عد في طليعة أدباء زمانه، له كتاب "الممتع" الذي يعتبر دراسة وافية في علم الأدب وتاريخه وفنونه ونقده (عبد العزيز قلقيلة، 1988، ص. ص. 73–74).

– الأديب والشاعر والإخباري "أبو الحسن ابن رشيق المسلي" (ت. 463هـ/1071م) الذي ولد في المسيلة وتعلم في البداية صناعة الصباغة على يد والده ثم مال إلى علوم الأدب والتاريخ، وقد تركة عدة مؤلفات منها كتاب "العمدة في صناعة الشعر ونقده" وكتاب "أنموذج الزمان في شعراء القيروان" و"قراضة الذهب" وكتاب "تاريخ القيروان" و"الروضة الموشية في شعراء المهدية" (رحلي صليحة، 2014، ص. 74).

4.2/ علماء طبنة :

– الفقيه "ابراهيم بن البني" الذي كان شريكا لسحنون بن سعيد في قضاء القيروان بأمر من الأمير "أبي العباس محمد بن الأغلب" (226–242هـ/840–856م) ، فكان قاضيا مقتدرا

وفقيها عالما، والفقيه المالكي "عبد الله بن الطبنة" (ت. 873/260م) من أصحاب سحنون ومؤيديه في نصرة أهل المدينة (الطيب بوسعد، 2008، ص. 6).

– العالم "أبو مروان بن عبد الملك بن زيادة الله الطبني" (ت. 396–456هـ) وهو إمام في علم الحديث من بيت علم ونباهة وخير وإصلاح وأهل جلالة في الحديث والأدب، إمام في اللغة وشاعر له ذاع وصيت كبير(ابن سعيد المغربي، 1993، حاشية 1 ص. 92).

4.3/ علماء مقرة :

– الفقيه "أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقري" (ت. 758هـ) ومن أشهر كتبه "القواعد الفقهية" و"عمل من طب لمن حب" و"الحقائق والرقائق وغيرها.

– الفقيه "أبو عثمان سعيد بن أحمد المقري" (كان حيا سنة 1011هـ) وهو مفتي تلمسان خمسا وأربعين سنة وكان يقال له "رئيس العلماء والعقلاء" (ابن مريم، 1907، ص. ص. 104–105).

– المؤرخ "أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد المقري" (ت. 1041هـ)، ينسب إلى مدينة مقرة التي سكنها أجداده ومن أشهر كتبه " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و"أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض" و"روضة الأنس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من علماء مراكش وفاس" (محمد بن الهادي أبو الأجحاف، 1988، ص. ص. 22–23).

4.5/ علماء بسكرة :

– العالم "أبو القاسم الهذلي البسكري" (403–465هـ/1012–1073م) وهو المقرئ والنحوي والمدرس والمؤلف الذي أشتهر في القرن الخامس الهجري وبرع في مجال القراءات والتكلم والنحو، زار بغداد وأصبهان، وعيّنه نظام الملك مقرئا في مدرسته بنيسابور، ومن مؤلفاته كتاب "الوجيز" وكتاب "الهادي" الذين ذكر فيهما مقدمة كتابه "الكامل" الذب نسخ في جزأين (عبد الحليم صيد، 2014، ص. ص. 47–48).

– الشيخ العالم أبو الفضل البسكري (496–568هـ/1103–1172م)، عالم صوفي وولي صالح وشاعر من بسكرة، تتلمذ في العلم والتصوف على يد "أبو الفضل النحوي"، ومن آثاره ديوان شعر وصف بأنه عظيم لكنه مفقود، ولا تزال قبة جامعه ظاهرة إلى يومنا هذا بحي قداشة (محمد الحسين الورتلاني، 1908، ص. 91).

– الشيخ " أبو محمد عبد الله بن عمر بن موسى البسكري" (كان حيا سنة 765هـ/1364م)، من علماء المالكية ، شاعر وأديب وعالم صوفي من أهل بسكرة، رحل إلى المشرق واستقر بالمدينة المنورة واتقى فيها بالحافظ المؤرخ "عبد الله بن محمد المطري" الذي لازمه وأخذ منه ووصفه بالشيخ الإمام العارف (عادل نويهض، 1980، ص. ص. 42-43).

– العلاّمة عبد الرحمان بن زرزور البسكري (القرن 6هـ/12م) ، وهو من الشعراء والفقهاء وولي صالح مشهور معروف بقسام الويدان ؛ ضريحه وقبته موجودتان إلى الآن في واد يمر على بسكرة سمي باسمه، وذكر الشيخ "عيسى بن سلامة البسكري" أن سيدي زرزور قد يكون العلامة الفقيه "محمد بن عبد الرحمن بن زرزر" الفارسي الأصل القيرواني الإقامة والمتوفي في 291هـ.

إلا أن الأديب "سعد السعود شخاب" قد وثيقة منقولة من مخطوطة مؤرخة في 1163هـ تذهب إلى أن الشيخ "هجرس بن علي الإدريسي الحسني" ولد بأسلاحة بفاس في المغرب سنة 500هـ وقد ارتحل إلى الجزائر، وترك عند وفاته ثلاث أبناء آخرهم عبد الرحمن وكان من أهل العلم ؛ الذي تقول الوثيقة أنه قد كساه الزرزور في الوادي وعند وفاته دفن وسط الوادي ومقامه موجود إلى يومنا هذا (عبد الحليم صيد، 2014، ص. 118).

– العلامة أحمد بن نصر أبو جعفر الدّاودي الليانى التلمساني(ت 402 هـ/ 1011م) انتقل من ليانة إلى بسكرة ثم لطرابلس الغرب لتلقي العلوم، ثم عاد لبلاده وبقي بين بسكرة والمسيلة، ولسبب ما انتقل إلى تلمسان وكانت مقره الأخير، ويعد حسب جمهور المؤرخين أول من شرح صحيح البخاري في كتابه (النصيحة)، وموطأ الإمام مالك في كتابه (النامي) ، و من أثاره كتاب : الأموال ، الواعي في الفقة ، الإيضاح (عادل نويهض، 1980، ص. 141).

– الشيخ "عبد الله بن ابراهيم البسكري المغربي المالكي" (ت. 829هـ/1426م) عالم فقيه صوفي مقرئ مدرس من أهل بسكرة، وهو نزيل بيت المقدس وشيخ دار القرآن في المدرسة السلاميي، وكان عارفا بالقراءات ومشهورا بالصلاح وانتفع به خلق كثير حتى أصبح محل اعتقاد كثير من الناس بما فيهم العلماء (السخاوي، 1992، ص. 4).

4.6/ علماء طولقة :

* الفقيه "إبراهيم بن محمد الأخضري الطولقي" (ت. 879هـ/1147م) وكان يعرف بالشيخ "إبراهيم الخذري" المعروف بالفقيه الصاح مفتي الديار التونسية، فهو عالم فقيه مفت من أهل طولقة، انتقل لطلب العلم بقفصة وتونس وأخذ العلم عن الشيخ "أبي عبد الله القلشاني" وعن "قاسم العقباني" وبرز فيها حتى لقب بشيخ علماء تونس حيث تقدم في الفقه وعلم اللغة والمنطق، وكان لا يفت إلا بمذهب مالك، ومات وهو في الثمانين (أحمد بابا التنبكتي، 2000، ص. 66).

* العالم "سعادة الرحماني الرياحي الطولقي" (ت. 705هـ) صوفي مصلح ولد في طولقة وعاش فيها وفي كنف أسرة متدينة حيث كانت أمه المسماة "خصيبة" في أعلى مقامات العبادة والورع فنشأ منحلا للعبادة والزهد، وقد ارتحل إلى المغرب والتقى شيخ الصالحين بنواحي تازة "أبا إسحاق التسولي" فأخذ عنه ولازمه وتفقه في أصول الدين ثم رجع إلى وطن رياح واستقر في طولقة من بلاد الزاب (الحفناوي، 1906، ص. ص. 149).

وقد سعى إلى الجهاد في سبيل تغيير المنكر وإصلاح الناس بداية من أهله وعشيرته وصحبه حتى اشتهر وكثرت غاشيته والتف به بعض العلماء الذين لازموه وعاهدوه على التزام طرقه منهم "أبو يحيى بن محمد بن مسعود" من الذواودة و"عطية بن سليمان" شيخ بني سباع.

وقد بدأ في تغيير المنكر واشتد على قطاع الطرق من شرار البوادي ثم تخطى ذلك إلى عامل بلاد الزاب "منصور بن فضل بن مزني" الذي طالبه بإلغاء المكوس والمظالم، لكن الحاكم رفض وأمر بالقبض عليه لكنه تمكن من الفرار وبناء زاوية وبايعه أصحابه على إقامة السنة (عبد الحليم صيد، 2014، ص. 14).

وفي 703هـ تقدم المجاهد "سعادة الرحماني" إلى بسكرة فحاصرها مدة لكنه لم يتمكن من فتحها، وفي 704هـ أعاد الكرة لكنه فشل ثانية، وفي 705هـ قام مع قلة من أتباعه من غزو "مليلي" التي استنجد أهلها بابن مزني الي امدهم بجيش عرمرم قضى به على جيش السنية وقتل الشيخ سعادة وحمل رأسه لعامل الزاب (ابن خلدون، 2000، ص. 52).

4.7/ علماء الزاب الشرقي :

* العالم أبو عبد الملك الملشوني (عاش في القرن 3هـ/9م)، عالم بالسير والمغازي من أهل قرية ملشون قرب تهودة إحدى قرى بسكرة (عادل نويهض، 1980، 314)، عارف بالتاريخ ومن فقهاء المالكية وملم بعدة علوم، تعلم بها وانتقل إلى بالقيروان وجالس الإمام "سحنون بن سعيد" وأخذ كل منهما عن صاحبه (التميمي، د.ت، ص. 98)، فيذكر الشيخ "أبو القاسم بن شبلون الفقيه" أنه صاحب أخبار ومغازي وأنه قد لازم الأمير الأغلبي "محمد بن الأغلب" (206-242هـ) سادس ملوك الدولة الأغلبية بإفريقية طيلة ثلاثين يوما من شهر رمضان، ومن آثاره كتاب في أخبار الأنبياء والبدئ بعنوان "الأمر العجيب" (المالكي : أبي عبد الله بن محمد، 1994، ص. 401).

* الفقيه "أحمد بن محمد بن علي بن أحمد الليانى" (كان حيا عام 890هـ/1494م) والمعروف بابن فاكهة، وهو عالم في الفقه والقرآن والحديث وعلوم اللغة، ولدة سنة 846هـ/1442م في بلدة ليانة من بلاد الزاب قرب قرية سيدي عقبة ونشأ فيها، وانتقل إلى بسكرة وهو صغير تلقى فيها المبادئ الأولى للعلم وانتقل إلى جامع الزيتونة بإفريقية ومكث فيها خمس أعوام تتلمذ فيها على يد الجامع العلامة "ابراهيم الأخضري التونسي" والشيخ "محمد الكومي" والشيخ "أحمد النخلي"، ثم انتقل لبجاية وجالس فيها مشايخ أجلاء مثل "سليمان الحسناوي" وعيسى بن أحمد الحنديسي" (السخاوي، 1992، ص. 145).

خاتمة :

من خلال ما تقدم نستنتج بأن منطقة الزاب كان لها أثر بارز في تنشيط الحياة الفكرية في المغرب الأوسط وساهمت الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية في جعل مدن الزاب مراكز للتفاعل العلمي والاشعاع الثقافي لما تزخر به من علماء أجلاء كان لإنتاجهم الفكري الدور الكبير في المنطقة وساهم بشكل واضح في تعليم المجتمع وتثقيفه ومد جسور العلم وتبادل المعارف والكتب والاجازات العلمية.

كما ساهمت المراكز الحضارية في بلاد الزاب في استقطاب العلماء من كل البلاد الإسلامية خاصة بلاد الأندلس حيث اتجهت نسبة كبيرة من الجالية الأندلسية للمغرب الأوسط وخاصة الزاب، وكان تأثيرها واضحا في الحياة العلمية والثقافية للمنطقة.

قائمة المصادر والمراجع :

المصادر :

- الإدريسي : أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني(ت. 548هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج. 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.
- البكري : أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو (ت. 487هـ)، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب "جزء من كتاب المسالك والممالك"، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.
- التميمي : أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم، طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د.ت.
- التنبكتي أحمد بابا ، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تق. عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط. 2، دار الكتاب، طرابلس، ليبيا، 2000.
- الحفناوي : أبي القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف، ج. 2، مطبعة بيار فونتانا، الجزائر، 1906.
- الحميري : محمد بن عبد المنعم (ت. 866هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح. إحسان عباس، ط. 2، مكتبة لبنان، 1984.
- ابن حوقل : أبي القاسم النصيبي (ت. 367هـ)، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، 1992.
- ابن خلدون : عبد الرحمن (ت. 808 هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج. 6، مر. سهيل زكار، ط. 4، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000.
- ابن عذاري المراكشي (كان حيا سنة 712هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج. 1، تح. ج.س.كولان وليفي بروفانسال، دار الثقافة، بيروت، ط. 3، 1983.
- السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج. 2 ، دار الجيل، بيروت، 1992.
- السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج. 5، دار الجيل، بيروت، 1992.
- ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تح. شوقي ضيف، ج. 1، ط. 4، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1993.

- المالكي : أبي عبد الله بن محمد، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، تح. بشير البكوش، ج. 1، ط. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994.
- مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق. سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1985.
- ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء العلماء بتلمسان، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1907.
- ابن منظور : جمال الدين أبو الفضل، لسان للعرب، مج. 1، دار صادر، بيروت، لبنان، د. ت.
- ابن منظور، لسان للعرب، مج. 14، دار صادر، بيروت، لبنان، د. ت.
- الواقدي محمد ، فتوح إفريقيا، ج. 1، مطبعة المنار، تونس، 1966.
- الورتلاني محمد الحسين ، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار(الرحلة الورتلانية)، مطبعة بيير فونتانا الشرقية الجزائرية ، 1908.
- ياقوت الحموي : شهاب الدين أبي عبد الله بن عبد الله (ت. 626هـ)، معجم البلدان، مج.3، دار صادر، بيروت، 1977.

المراجع :

- أبو الأجحاف محمد بن الهادي ، الإمام أبو عبد الله محمد المقري التلمساني، الدار العربية للكتاب، تونس، 1988.
- الشنتناوي أحمد وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، مر. محمد مهدي علام، مج 10، دارالمعرفة، بيروت، لبنان، د. ت.

صيد عبد الحليم ، معجم أعلام بسكرة، دار النعمان، الجزائر، 2014.

- العربي اسماعيل ، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للفنون، القليعة، الجزائر، 1983.
- غانم محمد الصغير ، تراث منطقة بسكرة والتخوم الأوراسية، مطبعة الشهاب، باتنة، الجزائر، د. ت.
- قلقيلة عبد العزيز ، النقد الأدبي في المغرب العربي، ج. 1، ط. 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1988.

- نويهض عادل ، أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط. 2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1980.

الرسائل والمقالات :

- بوخليفي قويدر جهينة ، تطور النظام الواحي وعلاقته بالقصور في الصحراء المنخفضة "الزيبان"، أطروحة غير منشورة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم، كلية علوم الأرض والجغرافيا والتهيئة العمرانية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2017.
- بوسعد الطيب ، دور علماء طبنة في العصور الإسلامية الوسطى، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 3، جامعة غرداية، الجزائر، 2008.
- بلكحل عز الدين وآخرون، " نشأة بلدة سيدي عقبة بالجزائر ومراحل تعميره "، مجلة المدينة العربية ، العدد 113 مارس، الكويت، 2003.
- بيرم كمال، حول اسم ونشأة مدينة المسيلة: مساهمة تاريخية، مجلة آثار، العدد 15، جامعة الجزائر2، 2016.
- حاجي رابح ياسين، المسح الأثري بموقع تهودة وضواحيه، مجلة آثار، العدد 11، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2014.
- رحلي صليحة، المسيلة وجهتها في العصر الوسيط، مذكرة غير منشورة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014.
- سليماني سعاد وحنان خريوش، ملفات أثرية بإقليم مدينة مقرة دراسة لموقعي خربة مالك وهنشير الرمانة، مجلة دراسات، العدد 9، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة2، 2019.
- عمارة علاوة ، بين جبال الأوراس والواحات : ظهور وانتشار واختفاء الجماعات الإباضية بالزاب (ق 2-3هـ/ 8-9م)، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 9، جامعة حمة الحاج، الوادي، الجزائر، 2015.
- مزهودي مسعود، طبنة ودورها الحضاري من الفتح حتة نهاية القرن الخامس هجري / الحادي عشر ميلادي، مذكرة غير منشورة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الجزائر، 2009.

- مصمودي نصر الدين، دور ومواقف العقيد محمد شعباني في الثورة وفي مطلع الاستقلال من 1954إلى 1964، مذكرة غير منشورة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، الجزائر2، 2010.

المراجع باللغة الأجنبية :

- *Jean Baradaz, Fossatum Africa, recherché Aérienne sur l'organisation des confins Sahariens à l'époque Romaine, Arts et Métiers Graphiques, Paris, 1949.*
- *Marc Cote, Guide d'Algérie, paysage et patrimoine, édition, Media – plus, Constantine, 2006.*
- *Stiphen Gsell, L'atlas Archéologique Algérienne. Feuillet N 48. 1957.*